

شكل الاستعمار الاوربي للانسان الافرو - آسيوي تهديدا وتحديا : تجلّى التهديد في فعله المستمر لتشويه التطور الطبيعي للمجتمع وتدمير كل خصائصه التاريخية ، وتحذ عبر عن نفسه في وعي الانسان المستعمر للهوة التاريخية التي تفصل بين عجزه وتخلفه وجبروت و « تقدم » الانسان المستعمر . ومن دياكتيك التهديد والتحدي والحضور المباشر للمستعمر انطلق النضال الوطني في وتأثر تختلف من بلد الى آخر ، وشاركت قوى اجتماعية مختلفة في هذا النضال رافعة راية الدين والتراث والاساطير ، واصبح هذا النضال تيارا مكونا من قوى اجتماعية مختلفة هدفها النهائي هو الاستقلال الوطني المدفوع بأيدولوجيا قومية .

اذا رجعنا الى منطق صراع المستعمر / المستعمر ودرسناه في شكل بدايته ومساره ونهايته نستطيع الوصول الى الاطروحات التالية :

١ - تبلورت النزعات والايديولوجيات القومية غالبا نفيًا ، فهي لم تنطلق من خط قومي واضح ، بل نمت عبر منطق النفي والتمايز عن الآخر وظلت لذلك تابعة في نموها وتصاعدها وخمودها الى الآخر ( المستعمر ) وحضوره المباشر وشكل ممارسته . لذلك نقول ان كل تحديد بالنفي هو تحديد زائف او ناقص .

٢ - وكما أنتجت الرأسمالية البروليتاريا ، فان الاستعمار حرّض النزعة القومية وشارك في حركة تشكيلها خالقا قوة تواجهه وتثور عليه (٥) . لذا يلاحظ ان وتأثر نمو القومية تختلف من بلد الى آخر معبرة عن مدى الصراع مع الاستعمار وحدوده .

٣ - اذا كانت الطبقة البرجوازية رفعت وحيدة راية القومية الاوروبية لخلق ( السوق القومية ) ، فان الامر لم يكن كذلك في آسيا وافريقيا ، فقد شارك ( ويشترك ) في الحركة القومية طبقات وزمر اجتماعية مختلفة كان شعارها « تحرير الوطن » لا « السوق القومية » .

٤ - القومية الافرو - آسيوية ظاهرة لا متجانسة ، بلا قوانين ، تتباين في مستوى تطورها ، وما هو مشترك فيها يعود الى الاثر التاريخي الناتج عن دياكتيك الاستعمار والتحرر .

الاشكال اللامباشرة للوعي القومي : ظهر الوعي القومي الاوربي في مجتمع متمايز طبقيا ، واضح الحدود ايدولوجيا وسياسيا . دفع هذا التمايز الوعي الى حدود الموضوح ، ونأى به عن حدود السديم واللا تحديد ، فاقترب الوعي القومي من مفهومه النظري ، اما الوعي القومي في أفريقيا وAsia فقد عرف قدرا آخر مرتبطا بتاريخه وشروطه الاجتماعية ، عكس هذا الوعي شروطه وترجم تاريخه .

خاض الانسان المستعمر معركته « القومية » بوعي قومي لا مباشر ، ووعي